صندوق البريد

كلمة اخيرة حول الرومانسية

عندما قدمت في العدد الاسبق من « الآداب » تلك الدراسة المفصلة عن «الرومانسية بين النشأة والتطور » ، كنت اهدف من ورائها إلى ان اضع بين يدي القاريء تصحيحاً لرأي سبق ان أبداه أحد الادباء المصريين ، وخلاصته أن الأدب الرومانسي لم يكن سلبياً وهو يواجه مشكلات عصره . فاذا جاء من بعده الصديق الدكتور عبد القادر القط ليردد في العدد الماضي نفس الرأي ويسير على نفس المنهج – اعني المنهج الذي يرتكز على النتائج الحاسمة دون مقدمات – فان التصحيح الذي قدمته يظل قائماً ما دام الكاتب لم يتعرض له بأصول المنهجية العلمية في المناقشة . ان هذه المنهجية تفرض عليه ان يناقش الاسس التي يستند اليها رأي الغير اذا ما حاول ان ينكر هذا الرأي ليثبت نقيضه .. تفرض عليه مثلاً ان يكذب الواقع التاريخي المحدد الذي عرضته ، وأن يفند الخصائص الفنية المتنوعة التي ذكرتها ، وان يجرح الشواهد الأدبية المتعددة التي أثبتها في مجال التطبيق . وبهذا وحده يستقيم منطق الرأي المعارض او المناقض الذي نادى به ، وهو ان الأدب الرومانسي – على حد قوله – لم يكن كله ولا معظمه سلبياً كما قررت ، وبخاصة في طوره الاول حين كان تعبيراً صادقاً عن مقومات المجتمع الذي نشأ فيه !

تبقى بعد هذه اشياء « على الهامش » احب أن اناقشها لنصل بالقراء الى الحقيقة :

١) يقول الكاتب الصديق : « انني ظلمت المذهب الرومانسي ظلماً بينا حين حددته بتلك الابعاد الثلاثة: البعد الزمني والبعد المكاني والبعد الصوتي» وفي رأيه أنني « لو استعضت عن هذه الأبعاد بالخصائص لاستطعت ان اجلو كثيراً من الجوانب المهمة التي اغفلتها في الادب الرومانسي » .

وأنا لم اظلم الادب الرومانسي تبعاً لهذا السبب الذي ذكره الدكتور القط ، ذلك لانني لم أقتصر على ذكر الابعاد دون الخصائص كما يريد ان يقول .. حسبه أن يرجع الى تلك الخصائص اذا رجع الى المقال ليجدني قد قلت : « هو ادب الحلم والوهم والتعلق بالاشياء البعيدة ، والميل إلى الحزن والتفكير في الموت ، والاغراق في الخيال والايمان بالغيبيات ، والولع بالفروسية والاعجاب بالبطولة » .. كم خصيصة يا ترى ؟ إنها تسع اذا ما لجأنا إلى العد والاحصاء !

٢) يقول الكاتب الصديق : «ولسنا ننكر ما في بعض الادب الرومانسي من اسراف في الخيال والتشاؤم ، ولكننا لا نقر أن يكون هذا هو طابعه العام . وينبغي ألا نأخذ بعض آثار هذا التشاؤم عند عدد من شباب ذلك العصر دليلاً على سلبية الرومانسية . فكل حركة جديدة تجد عند بعض الناس تأويلاً سطحياً لها . ولو حكمنا على الوجودية مثلاً بتأويل بعض الشباب لها لجاء حكمنا بعيداً كل البعد عن حقيقتها .»

وانا لم اقل ان هاتين الخصيصتين « الخيال والتشاؤم » هما الطابع العام للرومانسية ، ولكنني قلت إن هناك « تسع » خصائص تكون هذا الطابع وهي تلك التي حصرتها بين أقواس في التعقيب السابق . ومن السهو أيضاً أن ينسب الي الدكتور القط أنني نظرت الى سلبية الرومانسية على ضوء « التشاؤم » عند عدد من شباب ذلك العصر .. انني قد تحدثت مثلاً عن مسرحيتي « هرناني » لهيجو « وهنري الثالث » لدياس ، وروايتي « زنبقة الوادي » لبلزاك « وجاك » لجورج صاندوهي – على الرغم من انها آثار رومانسية سلبية تأثر بها الشباب إلى حد بعيد – الا انها من ناحية المضمون أبعد ما تكون عن التشاؤم ... ومثلها كثير !

٣) انا مع الكاتب الصديق في ان المجتمع الأوروبي قد مر بمرحلة تطورية ضخمة تركت آثارها المعينة في اتجاه الادب ، وهي مرحلة انتقاله من عهد الاقطاع الى عصر الثورة الصناعية . ولكنني لست معه في ان الادب الرومانسي هو الذي عكس تلك القيم الجديدة الوافدة مع « حركة الانتقال » بل هو الادب الواقعي الذي قام بهذا الدور الذي يتناسب تماماً مع خصائصه ويتنافى كثيراً مع خصائص الرومانسية .. ذلك لان كل ادب يتعرض لمشكلات عصره بطريقة إيجابية هو أدب واقعي ، تقوم واقعيته على جوهر الوظيفة التي يختارها كموقف ازاء المجموع !

٤) واخيراً فان الدراسة المفصلة التي قدمتها في العدد الاسبق قد رجعت في كثير من نواحيها إلى فصل مطول عن الرومانسية ، سجله الناقد والقصاص والمؤرخ الادبي فرانسس سيجمار في كتابه القيم « فلوبير ومدام بوفاري » ، حيث تعرض هناك للرومانسية كاتجاه فني في الادب ومدى ارتباطه بالاتجاه الاجتماعي في عصره ، ليدرس على ضوئها « غواية سان انطوني » لفلوبير ككاتب رومانسي في البداية .. وليس من شك في أن ستيجمار أصدق علما بالواقع التاريخي للرومانسية واكثر خبرة باثارها الادبية ، مني ومن الكاتب الصديق !

« معدية مهدي » **أنور المعداوي**

•

حول الشعر المصري

١) في بعض الاحيان ، تكون قاعدة : السكوت من ذهب ، اجدى المواقف بالانسان . على ان الكلام ، في احيان اخرى ، من ذهب ايضاً ، وهذا الموقف الاخير مشروط بالقيمة الفكرية والادبية لمن تجادل.

ويبدو لي ، ان تقاليد بعض الكتاب ، أن يزجوا في الميدان ببعض الاثار الادبية التي يعتبرونها هم ، الدرع الحصين ، ولكن سرعان ما يتراجعون بصمت، تاركين للمدى القاسية تعمل عملها في اشلاء تلك الاثار. وهذا ما حدث بالضبط لقصة « الارض » على صفحات هذه المجلة ، وما حدث بالضبط في العدد الاخير منها، حيث ناقشني السيد عبد الصبور، باشياء، لم يسبق لي ان ناقشته فيها .

ومرة اخرى اكرر اني ، انما كنت في حديثي السابق والاسبق ، عن الشعر المصري ، اعني اتجاهاً لا اشخاصاً ، ولهذا تحاشيت ذكر بعض الاسماء ، لاسباب كثيرة ، منها ، ما ذكرته قبل قليل في الجملة السابقة .

يناقشني السيد عبد الصبور ، بقيم استمدها من افواهنا ، واقتبسها من آراء صديقه السيد محمود العالم ، وهو يقول « فمن ابسط اسس مذهبك النقدي الذي استقيته من آراكون وناظم حكمت وايلوار ولوركا ، وما لا يحضرني من الاسماء التي تقول – صادقاً – انك قرأت لها ، واتخذتها شواهد على صحة موقفك من ابسط الاسس كما وضح صديقنا العالم في مقاله القديم الذي اشرت مرة الى قيمته النقدية . «ان العمل الادبي بنية عضوية نامية وان الفصل بين الشكل والمضمون خاطيء اساساً »

ليثق الزميل المحترم انه ما من نموذج حديث واقعي ناجح ، لاي شاعر مهم ، في كل مكان من انحاء العالم ، الاولي ولزميلي بدر السياب اطلاع عليه. وليس في هذا القول شيء من الادعاء !! ، لاننا ندرك ، بحرارة ، معنى هوايتنا الجميلة ، وقيمة مهنتنا الفكرية العملية المقدسة . وانه لمن دواعي

الفخر للادب العراقي الحديث ، ان يكون اول من نبه الى قيمة بعض الشعراء الناجحين في شتى انحاء العالم ، في وقت كان فيه القاريء العربي لا يسمع الا ببعض اسماء شعراء الرومانتيكية الغابرين . وانني لاعتز ان اشيد مذهبي النقدي على قيمنا الوطنية وتقاليدنا الفكرية استناداً الى محاولات سبقنا فيها شعراء في هذا العالم لاقوا في حياتهم الادبية كل نجاح .

ليس هذا فقط ، فنحن عندما نتحدث عن قيمة ادبية ندعو لها ، فهناك استعداد مقابل لكي نزج بالنموذج ، الذي يمثل تلك القيمة ، ابتداء من انتاجنا .

٢) ان الفصل بين المضمون والشكل خاطيء اساساً ، لهو قول ذكرته على صفحات هذه المجلة قبل اكثر من سنة ، كما ان من بديهيات موقفي النقدي ، ان النظر الى العمل الفني ، يكون : باعتباره كلاً متداخلاً ، لا ابياتاً مبعثرة . انما المهم ، وقد ناقشت صديقك السيد محمود امين العالم ، الذي يؤمن بهذا الاتجاه ، بل وأحد دعاته المخلصين ، اننا نعتقد النماذج التي تعبر عن مضمون هذا المنهج ، لان اكثر محصول صديقك في مجال الاستشهاد ، نماذج هزيلة ، تافهة ، لا تقوى على الوقوف جنب اعمدة الشعر الراسخه . ولما كان بعض الشباب في بغداد ادرى الناس ببطاح القاهرة ، فقد حاولوا ان ينبهوا القراء الى ممثلي الشعر الحديث الحقيقي في الشقيقة مصر .

كل ما تقوله في المذهب النقدي الحديث ، صحيح ايها الزميل ، ولكن الذي ننكره ، ان تكون لبعض القصائد المصرية ، ادنى علاقة بمذهبنا الحديث، ولهذا السبب بالذات، يكون من حقنا ، ان نفرق هذه القصائد، وان نأخذها بيتاً ، بيتاً ، او مقطعاً مقطعاً ، ذلك لانها لا تشتمل مطلقاً على اي بناء فني يستحق الملاحظة .

ومنهجنا ، بلا شك ، هو خلاف ما سبق، عندما نواجه قصيدة حديثة، تشتمل على اغلب عناصر الفن الشعري الحديث .

الحق اننا سنجرد اي قصيدة للنابغة الذبياني ، من كل معنى ، اذا ما واجهناها باساليب نقدية حديثة، والحق ايضا، اننا لم نتحول عن نقدالقرن الثالث الهجري كما تقول ، وذلك عندما نقدم على نقد قصيدة هي من قصائد ذلك القرن رغم صدورها عام ١٩٥٥ :

ورجعت بعد الظهر في جيبي قروش
فشربت شاياً في الطريق
ورتقت نعلي
ولعبت بالنرد الموزع بين كفي والصديق .

لا بل اجل القرن الثالث الهجري العظيم ان يحتوي على مثل هذا الشعر . وتسألني« الم تشرب؟ثم ما الفرق بين شرب الشاي وعصير الليمون مثلاً » وهاك جوابي :

واكلت تمراً في الطريق
وملأت (بالجكليت) بطني
وذهبت للخياط ارتق سترتي
وجلست في المقهى امصمص قهوتي

وابتداء من (منطقك) سيكون سؤالي : الم تأكل ، وما الفرق بين اكل التمر ، واكل الدجاج ؟

ليست الواقعية هي هذا النقل اللافي لصور الحياة . الواقعية الحديثة عملية هضم لهذه الصور ، تتخذ مجرى الشعر الطليق الحر . هي فهم جدلي عميق لتناقضات الاشياء في الواقع خلال انعكاسها في الذهن الانساني ، واذا كان هذا الفهم للعالم ضرورياً في ميادين العلم الحديث ، والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، فهو ضروري جداً للادب ، وللفن بصورة عامة . يقول الموسيقار غوستاف ماهلر (ان السيمفوني يجب ان تكون كالعالم نفسه ، حاوية على المتناقضات في كل الحانها) . ان اديباً يستلهم المناهج اللاعقلية في فهم الادب ، من الصعب ان يدرك قيمة قصيدة حديثة ، تنقل شعراً ، حركة الاشياء في الواقع .

ثم ان دعوى السيد عبد الصبور في موضوع الجزالة والسلاسة والالفاظ غريبة حقاً . فاذا لم يكن الشعر جزلاً ، واذا لم يكن سلساً، واذا لم تكن الفاظه منتقاة بصورة تلائم موضوع القصيدة، فما معنى ان يكون؟ امن واقعيتنا الحديثة ان نعمد الى رصف الكلمات ، وكأننا نحرر مقالات جافة عابرة ؟ ومن قال بذلك ؟

ثم كيف نتخلى عن الفصاحة والجزالة – وهي من القيم الشكلية – ونحن لم نزل نتكلم اللغة التي كتب بها المتنبي اشعاره العالية ، بل ولا زلنا نعتمد نفس الاوزان التي اعتمدها الشعراء منذ ايام الجاهلية حتى الآن . يحسن بك ايها الزميل ، الرجوع الى صديقك الاستاذ العالم ليوضح لك ما يأتي : ان نفي النفي ، في خلال صراعه مع النفي ، كي يسلم الى التركيب ، الى الموضوع الجديد ، الى النفي الجديد ، لا بد ان ينتزع من النقيض ، من النفي ، احسن ما فيه . وشعرنا الحديث لن يخالف هذه القاعدة . ان نزوعه الى التجديد ، سيسلب ارفع ما يشتمل عليه الشعر العربي القديم من خصائص فنية عالية . اي ان المركب الجديد ، لا بد ان يحتوي على شيء من (التقاليد الشعرية التي خلفها لنا العرب الامجاد) كما ذكرت . وللشعب العربي تقاليد شعرية . وللشعب العربي ، كما لكل الشعوب ، امجاد ، رغم انف الاقليمية الوضيعة الضيقة ، ورغم انف بقايا الثقافات الاستعمارية التي تعمل على الغاء تاريخ الشعوب ، وتحقير امجادها التاريخية ، لغايات معروفة محددة .

يا من تتحدثون باسم امة مصرية وامة عراقية ، وامة مراكشية ، وامة عدنية؛لقد وجدت ، والبهجة المرحة تعمر اقطار نفسي ، وخلال مطالعتي لكتاب جيد موضوعه « الادب الشعبي في مصر » اقول وجدت ان اغاني الفلاحين المصريين البسطاء ، ان امثلتهم الشعبية، ان ادبهم الصحيحي الخالص ، هو بالضبط ادب فلاحينا العراقيين في الجنوب . اجل بالضبط . وباختلاف في المبنى غير مهم . وهذه هي اسس قوميتنا الشعبية العربية الديموقراطية : نزوع الشعب ، عبر لغة واحدة وتاريخ واحد ، وخلال التعبير النفسي الصميمي ، الى شيء واحد متشابه .

تساؤل وتوضيح

تلقت « الآداب » عدة رسائل يتساءل أصحابها عن المبررات التي تسمح للمجلة بأن تنشر بعض اعلانات لكتب لا تنسجم رسالة « الاداب» مع عقائد مؤلفيها .

وادارة المجلة توضح ان هذه ما هي الا « اعلانات » ليس في نشرها ما ينم عن اي تأييد من قبل المجلة . وهذا هو شأن الاعلان دائماً – في المفهوم الصحفي الحديث – وفي صحف لا تنتمي الى اي حزب ، وإن كان لها رسالة او عقيدة معينة .

٣) لو رجع الزميل الى قصائد اليوت الواقعية – واليوت احد المعبرين عن الواقع ولكن بفهم خاطيء عن العالم – لادرك معنى استعمال الكلمة في الحديث العادي المكتسب صفة الشعر ، ان هذا الشاعر وكافة اصحابه من شعراء المدرسة الانكليزية الحديثة لم يتخلوا يوماً ما عن بلاغة لغتهم . والسيد عبد الصبور ، يذكرني بقصيدة ، ناظم حكمت ، الى تارنتابابو ، ولو التجأ مثلي الى متخصص بالادب التركي ، ولو استمع اليه يترنم بهذه القصيدة بلغتها ، لادرك كيف ان ناظم حكمت استغل كل ما في الكلمات التركية من حيوية وموسيقية وايحاء ، وهو ينقل لي ابياتا للشاعر روبرت برونتج ، وانا لا يعنيني شعر هذا الشاعر الآن ، وانما اود ان انقل للاخ عبد الصبور ، مقطعاً لقصيدة تأثرت بها يوماً ما ، وسيجد كيف يكتسب الحديث العادي ، الوصف المباشر ، صفة الشعر الحي. والى الوقت الذي ستظهر فيه مجموعة «خمسون قصيدة من الشعر العالمي الواقعي الحديث» سيقف على حقائق اكثر .

هنا ، انا ، لا اقصد المقارنة ، فالبون شاسع ، ولكن الزميل المحترم عبد الصبور يقول في قصيدته (شنق زهران) :

كان زهران غلاماً – امه سمراء ، والاب مولد – وبعينيه وسامه – وعلى الصدغ حمامه – وعلى الزند ابو زيد سلامه – ممسكا سيفاً وتحت الوشم نبش كالكتابه – اسم قرية – دنشواي – وضع النطع على السكة والغيلان جاءوا – واتى السياف (مسرور) واعداء الحياه – صنعوا الموت لاحباب الحياه – وتدلى رأس زهران الوديع.

ان الشاعر هنا يكتب عن دنشواي ، عن زهران الشهيد ، فاي شعور بالمأساة احسسته ايها القاريء؟ أفي القصيدة جو لمأساة ما ؟ ولكن ليقرأ القاريء هذا المقطع من قصيدة (لقد وقعت جريمة في غرناطة) للشاعر انطونيو ماخادو في رثاء صديقه لوركا ، والقصيدة ايضاً ، تصور عملية قتل :

We sow him go ' rifles on either side ,
Down the long avenue to dawn's cold plain ,
Quiet beneath the stars .
There , as the light took aim , they rhot him down .
The firing squad all shut their eyes and prayed .
Not even God Himself will save you now .
Blood on the brow, lead in the heart, he fell.
The crime took placo at Granada,
You know - poor Granada - his Granada.

والامثلة كثيرة في ذلك ولكن المجال لا يتسع .

٤) ليس المهم ان ننبش في بطون الكتب والمجلات . لنعثر على (اول) من قال بالشعر الحر ، انما المهم ان تتخذ الاشكال الحديثة طابع حركة شعرية حديثة ، ان تتخذ اتجاهاً جديداً ، فكرياً ، ونقدياً ، وهذا ما حدث لاول مرة في العراق ، واعتقد ان نكران ذلك مغالطة صريحة واذا كان الزميل يستشهد بسطر كتبه اديب مصري ضد الشعر الحر فانا على استعداد ان اثبت له ان المناقشات التي حصلت في بغداد ، بين المحافظين والمجددين ، مما يتسع لها مجلد بكامله .

٥) لا بد ان القاريء لاحظ ان الاخ عبد الصبور ينتقدنا لاننا نكتب عن المغرب العربي او عن ايران او عن اي قطر آخر ، وهكذا يكون مفهوم الحرية، وهكذا يكون مفهوم الرجل الحديث للعالم؟.. هل اقول للاخ الزميل ان كتابة قصيدة عن قضية عالمية هي من اصعب الامور وقد انطفأ على ابواب مستحيلها الكثيرون : وهل يصدق الكاتب اذا ذكرت له ان بعض قصائد الشعر العراقي اتخذت طريقها الى ادب الشعوب التي قبلت : تلك القصائد : فيها. وما قيمة تلك الروابط الوثيقة بين الانسان والانسان . بين شعب وشعب آخر ؟ وبعد فما تعليقي هذا الا امتداد لتعليقات كتبتها في السابق عن الشعر المصري الحديث .

بغداد — **كاظم جواد**

•

السلم الذي اصبح « سماً »

كنت أنتظر من الاستاذ عبدالصبور – وقد رأيت عنوان كلمته الموجهة إلي – ان يدافع عن نفسه إن كان لديه دفاع . ولكنه عمد إلى الهجوم الذي تجلى فيه الاغراض .

(١) لا ريب في ان الاستاذ عبد الصبور قد قرأ شيئاً من علم العروض فهل نسي ما قرأ أم أنه تعمد المغالطة ؟ فهو يقول إن قولي :

ما زال ناقوس ابيك يقرع المساء « مختل الوزن » .. لانه يجب أن اضيف (ياء) بعد كاف أبيك ، فتصبح « أبيكي » . فليرجع الى كتاب من كتب العروض – أو فليشتر كتابا ليفيد منه – وسيرى أنهم جوزوا ان تحذف سين مستفعلن – وسواها من السينات والتاءات في كثير من التفاعيل – فتكون « متفعلن » . وقد استعمل هذا « الجواز » كل اجدادنا من شعراء العرب .

(٢) ويقول « ولكن الذي لا مماطلة منه بيتان مكسوران في (قصيدتي) مرثية جيكور .. هما سم في الحضيض أعلاه – مرقاه انخفاض وإن بدا كالصعود حدقت منه الورى مقلتا (فوكاي) تستشرفان ايام هود »

ولولا الأغراض والمماطلة لعلم ان هناك غلطتين مطبعيتين في هذين البيتين فقد سقطت (اللام) من لفظة (سلم). وليرجع الى التعليق الذي كتبه الصديق الشاعر الاستاذ عبد الرحمن الكيالي حول هذه القصيدة في مجلة الآداب حيث قال « إن سلم التطور » لا يهبط الى الحضيض وانما يرقى الى اعلى . فليتجن الاستاذ عبد الصبور إن اراد .

اما البيت الآخر « حدقت منه الورى » فصوابه « حدقت منه في الورى .. » ، ولست ممن يجهلون كيف يعامل الفعل (حدق) وهل هو لازم ام متعد ، واي حرف من حروف الجر يأتي بعده .

وإني استشهد الدكتور سهيل ادريس الذي لا ريب في انه سيستشهد بأني قد كتبت له في حينه راجياً تصحيح هاتين الغلطتين المطبعيتين ، ولكنه وجد الامر ابسط من ان يحتاج إلى مثل هذا التوضيح* .

٣) ولو شاء الاستاذ عبد الصبور لصنف لي « قائمة عشرية الارقام » بالابيات المختلفة وزناً من شعري . واني لانحداه ان يفعل .

٤) ولكن الشيء الذي اريده هو ان يثبت لي الاستاذ عبد الصبور ان من بين قصائده التي نشرها طوال عام او اكثر قصيدتين لا اكثر سالمتين من الاخطاء العروضية واختلال الوزن .

وفي الختام ، ابعث تحياتي لشعراء مصر وللشعب العربي في مصر .

* أشهد بان هذا قد وقع . (رئيس التحرير) .

بغداد — **بدر السياب**